

## المقدمة :

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾

[ آل عمران : ١٠٢ ] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾ [ النساء : ١ ] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾ .

[ الأحزاب : ٧٠ ، ٧١ ] .

## أما بعد :

هذا الكتاب يتحدث عن شخصية عثمان بن عفان رضي الله عنه وعصره وهو امتداد لما سبقه من كتب تحدثت عن الصديق والفاروق رضي الله عنهما ، تبحث في دراسة عهد الخلفاء الراشدين لكي نستخرج الدروس والعبر ونستوعب السنن والقوانين الإلهية في حركة المجتمعات وبناء الدول ونهضة الشعوب ، وتربية القادة ، والأفراد العاملين لنشر دين الله بين الناس .

إن عودة الأمة لما كانت عليه في قيادتها للبشرية منوط بسيرها على هدي النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ، فقد أخبر الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم عن المراحل التاريخية التي تمر بها الأمة في مسيراتها في الحياة ، فقال صلى الله عليه وسلم : « تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً عاصاً

فيكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة (١) .

إن معرفة عهد الخلافة الراشدة ومنهاج النبوة خطوة لا بد منها في تحقيق الأهداف التي تسعى الأمة لتحقيقها في هذه الحياة ، فقد قال ﷺ : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي » (٢) .

إن تاريخ عصر الخلفاء الراشدين ملئ بالدروس والعبر وهي متناثرة في بطون الكتب والمصادر والمراجع ، سواء كانت تاريخية أو حديثة أو فقهية أو أدبية أو تفسيرية ، فنحن في أشد الحاجة لجمعها وترتيبها وتوثيقها وتحليلها ، فتاريخ الخلافة الراشدة إذا أحسن عرضه يغذي الأرواح ويهذب النفوس وينور وينى العقول ، ويشحذ الهمم ، ويقدم الدروس ، ويسهل العبر ، وينضج الأفكار ، ويوضح معالمها ، وصفات قادتها ، ونظام حكمها ، وأخلاق جيلها ، وعوامل ازدهارها ، وأسباب زوالها ، فنستفيد من ذلك في إعداد الجيل المسلم الذي يتربى على منهاج النبوة وفقه الخلافة الراشدة ، ونتعرف على حياة عصر من قال الله تعالى فيهم : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠) ﴾ .

[ التوبة : ١٠٠ ] .

وقال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجِدًا ﴾ [ الفتح : ٢٩ ] .

وقال فيهم رسول الله ﷺ : « خير أمتي القرن الذي بُعثت فيهم ... » (٣) .

وقال فيهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : من كان مستنًا فليستن بمن قد مات ،

(١) المسند (٢٧٣/٤) ؛ البزار رقم (١٥٨٨) رجاله ثقات .

(٢) سنن أبي داود (٢٠١/٤) ؛ الترمذي (٤٤/٥) حسن صحيح .

(٣) مسلم (١٩٦٣/٤ - ١٩٦٤) .

فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد ﷺ ، كانوا والله أفضل هذه الأمة ، وأبرها قلباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم في آثارهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم (١) .

فالصحابة رضوان الله عليهم قاموا بتطبيق أحكام الإسلام ، ونشروه في مشارق الأرض ومغاربها ، فعصرهم خير العصور ، فهم الذين علموا الأمة القرآن الكريم ورووا السنن والآثار عن رسول الله ﷺ ، فتاريخهم هو الكنز الذي حفظ مدخرات الأمة في الفكر والثقافة والعلم والجهد ، وحركة الفتوحات والتعامل مع الشعوب والأمم ، فتجد الأجيال في هذا التاريخ المجيد ما يعينها على مواصلة رحلتها في الحياة على منهج صحيح ، وهدى رشيد ، وتعرف من خلاله حقيقة رسالتها ودورها في دنيا الناس .

إن التاريخ الإسلامي أصبح غرضاً ومرمى لسهام أعداء الإسلام على مختلف مذاهبهم وعقائدهم ، ويحاولون أن يوجدوا فجوة في الإسلام وتاريخه الزاهر ، حتى يتسنى لهم عزل الأجيال عن الإسلام وعقيدته وشريعته وقيمه وتراثه العلمي ، ولذلك يبذلون قصارى جهدهم لنفث السموم في المجتمع الإسلامي .

لقد حاول المستشرقون ومن قبلهم الروافض أن ينشروا كل رواية باطلة تنقص من شأن الصحابة الكرام ، وتطعن في تاريخ الأمة المجيد ، وتصور تاريخهم بأنه صراع على السلطة والسيادة والنفوذ ، ولذلك يجب الحذر من كل رافضي كاذب ، ومستشرق حاقد ، وعلماني جاهد ، وكل من سار على نهجهم ، ولا بد من الدفاع المستميت عن تاريخنا الخالد والهجوم الشجاع على مناهج الكذابين والمنحرفين ، ويكون هذا الهجوم المبارك بقذائف الحق العلمية المملوءة بالحقائق الساطعة والأدلة القاطعة والبراهين الدامغة .

(١) شرح السنّة للبيهقي ( ٢١٤/١ - ٢١٥ ) .

إن صياغة التاريخ الإسلامي بمنهج أهل السنة والجماعة ضرورة ملحة لأبناء الأمة ، وقد بدأت أقلام الباحثين والكتّاب تصوغ التاريخ من هذا المنظور ، وهم لم يبدؤا من فراغ ، لأن الله حمى دينه وحمى أمته ، فقيض لتاريخ الصحابة رضي الله عنهم من يحقق وقائعه ويصحح أخباره ، ويكشف الستار عن الوضّاعين والكذّابين من ملفقي الأخبار ، ويرجع الجهد العظيم في ذلك التصحيح إلى الله ثم أهل السنة والجماعة من أئمة الفقهاء والمحدثين الذين حفلت مصادرهم بالكثير من الإشارات والروايات الصحيحة التي تنقض وترد كل ما وضعه الملفقون <sup>(١)</sup> .

هذا وقد سرتُ على أصول منهج أهل السنة ، فعكفتُ على المصادر والمراجع القديمة والحديثة ولم أعتد في دراسة عصر الخلفاء الراشدين على الطبري وابن الأثير والذهبي وكتب التاريخ المشهورة فقط ؛ بل رجعت إلى كتب التفسير ، والحديث ، وشروحيها ، وكتب العقائد والفرق ، وكتب التراجم والجرح والتعديل ، وكتب الفقه ، فوجدت فيها مادة تاريخية غزيرة يصعب الوقوف على حقيقتها في الكتب التاريخية المعروفة والمتداولة ، وقد شرعت في هذا الكتاب بالحديث عن الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي قال فيه رسول الله ﷺ : « وأصدقها حياءَ عثمان » <sup>(٢)</sup> ، وقال فيه رسول الله ﷺ في غزوة تبوك بعد تقديمه النفقة العظيمة : « ما ضرَّ عثمان بعد اليوم ، ما ضرَّ عثمان بعد اليوم » <sup>(٣)</sup> ، وقد بشره رسول الله ﷺ بالجنة على بلوى تصيبه <sup>(٤)</sup> ، وحثَّ الناس عند وقوع الفتنة أن يكونوا مع عثمان وأصحابه ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنكم تلقون بعدي فتنة واختلاقا ، أو اختلاقا وفتنة » ، فقال له قائل من

(١) المنهج الإسلامي لكتابة التاريخ ، د . محمد محزون ، ( ص ٤ ) .

(٢) فضائل الصحابة ، لأبي عبد الله أحمد بن حنبل (٦٠٤/١) ، إسناده صحيح .

(٣) سنن الترمذي رقم (٣٧٨٥) .

(٤) البخاري رقم (٣٦٩٥) .

الناس : فمن لنا يا رسول الله ؟ ، قال : « عليكم بالأمين وأصحابه ، وهو يشير إلى عثمان » (١) .

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم في زمن النبي ﷺ لا يعدلون بأبي بكر رضي الله عنه أحد ، ثم عمر رضي الله عنه ، ثم عثمان رضي الله عنه ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحداً ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم » (٢) .

وقد قال فيه الشاعر النميري :

عشيّةً يدخلون بغير إذن  
خليل محمدٍ ووزير صدقٍ  
وقال فيه أبو محمد القحطاني :

لما قضى صديق أحمد نحبه  
أعني به الفاروق فرق عنوة  
هو أظهر الإسلام بعد خفائه  
ومضى وخلى الأمر شورى بينهم  
من كان يسهر ليلة في ركعة  
دفع الخلافة للإمام الثاني  
بالسيف بين الكفر والإيمان  
ومحا الظلام وباح بالكتمان  
في الأمر فاجتمعوا على عثمان  
وترأ فيكمل ختمة القرآن

إلى أن قال :

والويل للركب الذين سعوا إلى  
عثمان فاجتمعوا على العصيان (٤)  
إن حياة ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه صفحة مشرقة في تاريخ الأمة ، وقد  
قمت بتتبع أخباره وحياته وعصره ، وقمت بترتيبها وتنسيقها وتوثيقها وتحليلها ، لكي

(١) فضائل الصحابة (١/٥٥٠) ، إسناده صحيح .

(٢) البخاري ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ رقم (٣٦٩٨) .

(٣) البداية والنهاية (٧/٢٠٦) .

(٤) نونية القحطاني ، ( ص ٢١ - ٢٥ ) .

تصبح في متناول أبناء أمتي على مختلف طبقاتهم من علماء ودعاة وخطباء ، وساسة ومفكرين ، وقادة جيوش ، وحكام ، وطلاب علم ، وعمامة الناس ، لعلهم يستفيدون منها في حياتهم ، ويقتدون بها في أعمالهم ، فيكرمهم الله بالفوز في الدارين .

لقد تحدثت في هذا الكتاب عن اسم ذي النورين ونسبه وكنيته وألقابه وأسرتة ومكاته في الجاهلية وإسلامه وزواجه من رقية بنت رسول الله ﷺ ، وابتلاؤه وهجرته للحبشة ، وعن حياته مع القرآن الكريم وملازمته للنبي ﷺ ، وعن مواقفه في غزوات رسول الله ﷺ ، وعن حياته الاجتماعية بالمدينة ، ومساهمته الاقتصادية في بناء الدولة ، وتبعت أحاديث رسول الله ﷺ في ذي النورين فيما ورد في فضائله مع غيره ، وما ورد عن رسول الله في أخباره عن الفتنة التي يقتل فيها عثمان رضيه الله عنه ، وتكلمت عن مكانته في عهد الصديق والفاروق ، وبينت قصة استخلافه ، ورددت على الأباطيل الرافضية التي دُست في قصة الشورى ، فأثبت بطلانها وزيفها بالحجج العلمية والبراهين القوية والأدلة المنطقية ، وذكرت أقوال أهل العلم في أحقية عثمان بالخلافة وانعقاد الإجماع على خلافته ، وشرحت منهج عثمان رضيه الله عنه في نظام الحكم من خلال رسائله للولاة وأمراء الجند وعمامة الناس ومواقفه في الحياة ، فقد وضَّح رضيه الله عنه المرجعية العليا للدولة ، وحق الأمة في محاكمة الخليفة ، وقواعد الشورى والعدل والمساواة والحريات ، وأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حياة المجتمعات ، وقد أشرت إلى أهم صفات عثمان رضيه الله عنه القيادية وذكرت تسعة عشر صفة من صفاته مع المواقف الدالة على تلك الصفات الرفيعة ، والأخلاق الحميدة .

وتحدثت عن المؤسسة المالية فبينت معالم السياسة المالية التي أعلنها عثمان رضيه الله عنه عندما تولى الحكم ، وأنواع النفقات العامة في عهده ، كصرف مرتبات الولاة ، والجنود ، والإنفاق على الحج ، وتمويل إعادة المسجد النبوي ، وتوسعة المسجد الحرام ، وإنشاء أول أسطول بحري ، وتحويل الساحل من الشعبية إلى

جدة ، وتمويل حفر الآبار ، ورواتب المؤذنين ، وأشرت إلى أثر تدفق الأموال على الحياة الاجتماعية ، والاقتصادية ، وإلى حقيقة العلاقة بين عثمان وأقاربه والعطاء من بيت المال .

وتكلمت عن مؤسسة القضاء وبعض الاجتهادات الفقهية لعثمان رضي الله عنه والتي أثرت في المدارس الفقهية فيما بعد ، وجمعت فتوحات عثمان المتناثرة في كتب التاريخ ، وقمت بترتيبها وتنظيمها وفق حركة الجيوش في المشرق ، وبلاد الشام ، وفي الجبهة المصرية ، والشمال الأفريقي ، واستخرجت من حركة الفتوح دروساً وعبراً وفوائد ، كتحقق وعد الله للمؤمنين ، وتطور فنون الحرب والسياسة ، والاهتمام بحدود الدولة والحرص على وحدة الكلمة في مواجهة العدو ، وجمع المعلومات على الأعداء ، وترجمت لبعض قادة الفتوح ، كالأحنف بن قيس ، وعبد الرحمن بن ربيعة الباهلي ، وسلمان بن ربيعة ، وحبيب بن مسلمة الفهري ، وأشدت بأعظم مفاخر عثمان رضي الله عنه في توحيد الأمة على قراءة المصحف العثماني ، ووضحت المراحل التي مرت بها كتابة القرآن الكريم ، وتحدثت عن الباعث على جمع القرآن في عهده ، واستشارته لجمهور الصحابة ، وعن عدد المصاحف التي أرسلها إلى الأمصار ، فوهم الصحابة آيات النهي عن الاختلاف ، وعن مؤسسة الولاية وأقاليم الدولة في عهده ، وسياسته مع الولاية وحقوقهم وواجباتهم ، وأساليبه في متابعة ولاته ومراقبتهم والإطلاع على أخبارهم ، وبينت حقيقة ولاية عثمان رضي الله عنه وماذا لهم وماذا عليهم ، وحقيقة علاقة عثمان بأبي ذر ، وابن مسعود ، وعمار بن ياسر رضي الله عنهم ، وفصلت في أسباب فتنة مقتل عثمان وأهمية دراسة وقائع هذه الفتنة ، وتحدثت عن كل سبب من الأسباب في فقرة مستقلة ، كالرخاء وأثره في المجتمع ، وطبيعة التحول الاجتماعي ، ومجيء عثمان بعد عمر رضي الله عنه ، وخروج كبار الصحابة من المدينة ، والعصبية الجاهلية ، وتوقف الفتوح والورع الجاهلي ، وطموح الطامحين ، وتآمر الحاقدين ، والتدبير المحكم لإثارة المآخذ ضد الخليفة الراشد المظلوم ، واستخدام

الأساليب والوسائل المهيجة للناس ، وعن أثر السبئية في أحداث الفتنة والخطوات التي اتخذها عثمان رضي الله عنه لمعالجتها ، كإرسال لجان تحقيق وتفتيش وإرساله لكل الأمصار كتاباً شاملاً بمثابة إعلان عام لكل المسلمين ، ومشورته لولاة الأمصار ، وإقامة الحججة على المتمردين ، والاستجابة لبعض مطالبهم ، وبينت ضوابط التعامل مع الفتن من خلال فقه عثمان رضي الله عنه ، كالتثبت ولزوم العدل والإنصاف ، والحلم والأناة ، والحرص على ما يجمع ونبذ ما يفرق ، ولزوم الصمت والحذر من كثرة الكلام ، واستشارة العلماء الربانيين ، والاسترشاد بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتن ، ووصفت إحتلال أهل الفتنة للمدينة ، وحصارهم لعثمان رضي الله عنه ودفاع الصحابة عنه ورفضه لذلك ، وذكرت مواقف الصحابة من مقتل عثمان رضي الله عنه ، وما ورد من أقوالهم في الفتنة .

إن هذا الكتاب يبرهن على عظمة ذي النورين ، ويثبت للقارئ الكريم بأنه كان عظيماً بإيمانه وبعلمه وبخلقه وبآثاره ، وكانت عظمته مستمدة من فهمه وتطبيقه للإسلام وصلته العظيمة بالله واتباعه لهدي الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

إن عثمان رضي الله عنه من الأئمة الذين يتأسى الناس بهديهم وأقوالهم وأفعالهم في هذه الحياة ، فسيرته من أقوى مصادر الإيمان ، والعاطفة الإسلامية الصحيحة والفهم السليم لهذا الدين ، فلذلك اجتهدت في دراسة شخصيته وعصره حسب وسعي وطاقتي ، غير مدع عصمة ، ولا متبرئ من زلة ووجه الله الكريم لا غيره قصدت ، وثوابه أردت ، وهو المسؤول في المعونة عليه ، والانتفاع به إنه طيب الأسماء ، وسميع الدعاء .

هذا وقد انتهيت من هذا الكتاب الساعة الثانية من فجر يوم الأربعاء بتاريخ ٨ من شهر ربيع الثاني لعام ١٤٢٣ هـ الموافق ٢٠٠٢/٦/١٨ م ، والفضل لله من قبل ومن بعد وأسأله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل عملي لوجهه خالصاً ، ولعباده نافعاً ، وأن يثيبني على كل حرف كتبت ويجعله في ميزان حسناتي ،

وأن يثيب إخواني الذين أعانوني بكافة ما يملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع ، ونرجو من كل مسلم يطلع على هذا الكتاب أن لا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [ النمل : ١٩ ] .

وقال تعالى : ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [ فاطر : ٢ ] ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك ،  
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

### على محمد محمد الصلابي

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه

